

الوحدة الموضوعية لسورة البلد عند ابن عاشور وإصلاحي ونظرية التناظر -دراسة
نظرية تطبيقية-

**Thematic Unity of Surah al-Balad for Ibn Ashour, Iṣlāḥī, and
Ring -Theory Analytical Study-**

أ. ندين مصطفى السليمي*

جامعة الملك عبد العزيز، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، المملكة العربية السعودية،

nalsulaimi@kau.edu.sa

تاريخ القبول: 209/09/30

تاريخ الاستلام: 2019/04/20

الملخص:

اختلفت المناهج الموضوعية في قراءة السور القرآنية كوحدات موضوعية، وهذه المقالة تتناول ثلاث مناهج موضوعية مختلفة لقراءة سورة البلد وتناسقها كوحدة: منهجية ابن عاشور، وإصلاحي، ونظرية التناظر، وتبين الدراسة أوجه التشابه والاختلاف بين هذه المنهجيات، ثم تُطبّق القراءة التناظرية لتحديد محور السورة المختارة وبيان ترابط أجزائها، وأثر التناظر على فهم معاني الآيات والترجيح بين الأقوال.

الكلمات المفتاحية: تفسير؛ وحدة؛ موضوعية؛ سورة؛ البلد.

Abstract:

Thematic approaches in reading the Qur'ānic surahs as units have differed. This article focuses on three different literary approaches applied particularly to read surah al-Balad as a consistent unit. These approaches are: Ibn Ashour's, Iṣlāḥī's, and Ring-Theory. This study demonstrates the similarities and differences between those approaches. Then, it applies ring-theory to identify the surah's main theme and shows its consistency. Also, it illustrates the influence of considering the symmetry on understanding the meanings of the verses and judging between different opinions.

Keywords: tafsīr; unity; thematic; surah; Balad.

* المؤلف المرسل

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

ازداد الاهتمام خلال القرن الماضي بقراءة السورة القرآنية قراءة موضوعية باعتبار كل سورة وحدة كاملة منسجمة ذات محور أو موضوع رئيس إليه ترجع جميع موضوعات السورة الأخرى. وهذا الأمر ليس بجديد، فقد اهتمت بعض كتب التراث بمقاصد السور وتناسب آياتها واتصالها، مثل: "تفسير البحر المحيط" لأبي حيان الأندلسي (ت. 745هـ)، "نظم الدرر" لبرهان الدين البقاعي (ت. 885هـ). وتفردت تفاسير عديدة في العصر الحديث بهذا اللون من التفسير⁽¹⁾ مع اختلاف مناهج المفسرين والباحثين في هذه التفاسير والدراسات الموضوعية الحديثة، ومن المفسرين المعاصرين الذين اهتموا بالتفسير الموضوعي والوحدة الموضوعية للسور: المفسر التونسي الطاهر ابن عاشور (ت. 1393هـ/1973م)⁽²⁾ والمفسر الهندي أمين أحسن إصلاحي (ت. 1418هـ/1997م)⁽³⁾. وقد نهج كل منهما منهجاً موضوعياً مختلفاً في قراءة السور، ولبين الفرق بين المنهجتين وأثر القراءات الموضوعية على التفسير وفهم المعاني والترجيح بينها أو توسيعها بما يناسب اللغة والسياق، فإن هذه الدراسة ستتناول أولاً قراءة ابن عاشور وإصلاحي لسورة البلد -أمودجاً-، وكيف تعامل كل منهما من خلال استخدام القراءات الموضوعية المختلفة مع تعدد الأقوال حول نزول مقدمة السورة، وحول المقصود من ألفاظها، مثل: حل، والد، العقبة وغيرها، وما علاقة أولها بآخرها.

ثانياً ستستعين هذه الدراسة بمنهجية أدبية ثالثة وهي "نظرية التناظر" أو الحلقة -أي تحليل النص وفق قواعد البلاغة للغات السامية - والتي اقترحها العالم الغربي ميشيل كويبرز Michel Cuypers⁽⁴⁾، وهذه النظرية سَتُطَبَّقُ في هذه الدراسة لتحليل تركيب السورة ككل، وتحديد موضوعها الرئيس، ومعرفة العلاقة والارتباط بين فاتحة السورة وخاتمتها موضوعياً وبلاغياً. وستتم الاستعانة في القراءة التناظرية التحليلية ببعض التفاسير التقليدية، مثل: الكشف للزمخشري (ت. 538هـ)، التفسير الكبير للرازي (ت. 606هـ)، الجامع لأحكام

_____ الوحدة الموضوعية لسورة البلد عند ابن عاشور وإصلاحي ونظرية التناظر

القرآن للقرطبي (ت. 671هـ)، البحر المحيط لأبي حيان، بدائع التفسير لابن القيم (ت. 751هـ)؛ لمعرفة معاني الكلمات، حيث أن الكلمات - في هذه النظرية - تُستخدم لتحديد بداية ونهاية كل مقطع، ولربط المقاطع مع بعضها كوحدة منسجمة بلاغيًا وموضوعيًا. والاقتصار على هذه المناهج المختارة لا يعني الحصر، ولكن اختلافها من حيث المنهجية ظاهر وكذلك من حيث النتائج التي ستظهر في هذا البحث، والهدف من دراسة هذه المناهج مع تطبيق "نظرية التناظر" - التي يمكن تتبع آثارها في التراث والعصر الحديث⁽⁵⁾ - هو بيان أثر القراءة الموضوعية في فهم الآيات في سياقها أو توليد معاني جديدة بما يتناسب مع النص القرآني واللغة العربية.

أهمية البحث: تظهر أهمية هذه الدراسة في النقاط التالية:

1_ إبراز وحدة السورة القرآنية وتناسب مقاطعها وأجزائها، وبيان جهود المفسرين في إظهار جوانب من بلاغة القرآن في نظم السور ووحدة القرآن الكريم ككل رغم نزوله المنجم وتنوع موضوعاته وأساليبه.

2_ بيان أثر القراءة الموضوعية للسور في تحديد زمن النزول والترجيح بين المعاني المتعددة أو توسيع تلك المعاني.

3_ ربط علم المناسبات بين الآيات بالنظم، وبيان أصالته ودوره في إظهار جمال النص القرآني. فابن عاشور من الذين اهتموا بعلم المناسبات، أما إصلاحي فقد اهتم بالنظم بالدرجة الأولى، وكلاهما ساهما في ربط الآيات ببعضها موضوعيًا.

4_ تسليط الضوء على المنهجيات الموضوعية العلمية المختلفة المستخدمة في قراءة القرآن، وخاصة منهجية أمين إصلاحي في التفسير ونظريته عن نظم القرآن، فتفسيره "تدبر القرآن" المكتوب باللغة الأردية لم يجد طريقه بعدُ إلى الترجمة العربية، وتُرجمت أجزاء منه إلى اللغة الانجليزية⁽⁶⁾، وربما تكون هذه الدراسة مشجعة للباحثين والأكاديميين في العالم العربي على ترجمة إنتاج إصلاحي بالعربية ودراسته ونقده بطريقة علمية أكاديمية⁽⁷⁾.

- 5_ بيان خطوط الالتقاء بين القراءة التناظرية وهي طريقة غربية أدبية حديثة لقراءة سور القرآن كوحداث وبين قرائتي الطاهر وإصلاحي الموضوعيتين.
- 6_ تسليط الضوء على الفرق بين المناهج الموضوعية أو الأدبية وبين التفاسير التقليدية، مع بيان عدم استغناء المناهج الموضوعية عن أنواع التفسير الأخرى كالتفسير بالمأثور وبالرأي وغيرهما.

الدراسات السابقة: ندرج فيما يلي أمثلة لبعض الدراسات الحديثة اللاتي اهتمت بسورة البلد بلاغيًا أو تفسيريًا على اختلافها:

- 1_ لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، فاضل صالح السامرائي، الأردن- عمان: دار عمار للنشر والتوزيع، 2003-1423.
- 2_ ظواهر تحليلية في سورة البلد، عبير جبار كاظم الملا، مجلة الجامعة الإسلامية، 2015.
- 3_ الاتساق المعجمي في سورة البلد، أ.م.د. جليلة صالح العلاق، Kufa Studies Center Journal، 2019.

منهج البحث: المنهج التحليلي والتطبيقي.

إشكالية البحث: تفسير سورة البلد موضوعيًا موجود في التفاسير الموضوعية التقليدية والحديثة، ولكن بعض هذه المحاولات لا تركز على دور موضوع السورة ونظم آياتها من حيث الترتيب في فهم معانيها وإيجاد التناسب بين أجزائها. وهذه الدراسة تهدف إلى تطبيق القراءات الموضوعية المختلفة على سورة البلد لمعرفة كيف تؤثر القراءات الموضوعية للسورة في فهم وحدة السورة وتحديد موضوعها الرئيس، وارتباط فاحتها بخاتمها، والترجيح بين الأقوال المختلفة حول زمن نزول مقدمتها ومعاني ألفاظها.

وتتضمن هذه الدراسة المبحثين التاليين: المبحث الأول: الوحدة الموضوعية لسورة البلد عند الطاهر وإصلاحي، المبحث الثاني: تطبيق نظرية التناظر في قراءة سورة البلد، وخاتمة فيها أبرز نتائج هذا البحث.

المبحث الأول: الوحدة الموضوعية لسورة البلد عند الطاهر وإصلاحي:

هذا المبحث يعرف أولاً بمنهجيتي الطاهر وإصلاحي في قراءة السور موضوعيًا، ثم يستعرض قراءة ابن عاشور للسورة المختارة، مع تسليط الضوء على المواضع التي ذكرها لتأكيد مكية آياتها، وترجيحه بين المعاني، متبوعة بقراءة إصلاحي لنظم السورة التي اعتبرها مكية تمامًا، وكيف ربطها بسورة الفجر المكية وعمودها، وأخيرًا مناقشة للقراءتين تتناول أوجه التشابه والاختلاف مع بعض التعليقات.

التعريف بمنهجيتي الطاهر وإصلاحي:

ابن عاشور يُعدّ من علماء شمال أفريقيا الذين اهتموا بالمناسبات بين الآيات ووحدة السور في العصر الحديث، ففي تفسيره الشهير المسمى بـ "التحرير والتنوير" اهتم ببيان أغراض السورة وإيراد المناسبات بين آياتها، مع العلم بأنه لم يتناول التناسب بين السور لأنه يرى أن ترتيب السور اجتهادي⁽⁸⁾. وتجدر الإشارة إلى أن النظم معتبر عند ابن عاشور، لكنه ليس أداة تفسيرية في المقام الأول بل من صور إعجاز القرآن وبلاغته⁽⁹⁾. ومنهجية ابن عاشور تعتمد على تقديم قراءة خطية أفقية للآيات، بعد تقديم ما قيل عن أسمائها وفضائلها وأسباب النزول، وترتيب نزول السورة ومكيّتها أو مدنيّتها في التراث الإسلامي، متبوعًا ببيان أغراض السورة، وعادة ما تكون تلك الأغراض هي ذكر جميع موضوعاتها حسب ترتيب ورودها في السورة، ولا يذكر ابن عاشور موضوع السورة الرئيس، ولكنه يربط جميع أجزاء السورة من خلال إيراده للمناسبات المختلفة سواء كانت موضوعية أو متوافقة مع السياق.

أما أمين إصلاحي في كتابه "تدبر القرآن (Taddabur-e-Qur'ān)" فقد اعتمد على عدة أدوات تفسيرية من داخل النص وخارجه لتفسير سور القرآن، واعتمد إصلاحي النظم كأداة داخلية رئيسة للتفسير، وفهم المعاني والترجيح بينها، بالإضافة إلى تفسير القرآن بالقرآن واللغة⁽¹⁰⁾. وجعل إصلاحي لكل سورة عمودًا، واعتنى ببيان ارتباط كل سورتين متتاليتين موضوعيًا؛ داعيًا لمراعاة سنة التزواج بين سور القرآن كما توجد هذه السنة في الكون

المنظور، وقسم إصلاحي سور القرآن الكريم إلى سبع مجموعات موضوعية⁽¹¹⁾. وتعتمد قراءة إصلاحي على تقسيم السورة إلى أقسام ومقاطع، وهو تقسيم مبني على موضوع المقطع أو القسم، وعلى بعض الدلالات اللغوية. ويعتبر إصلاحي أسباب النزول معانٍ تفسيرية عامة تنسحب على آيات كثيرة متشابهة، وأنها يمكن أن تُستخدم لفهم النص عندما توجد إشارات في النص نفسه لتلك الحوادث التاريخية⁽¹²⁾، ولابن عاشور رأياً أكثر توازناً، فهو لا يرى أن جميع أسباب النزول هي آراء ناقليلها، لكنه يبيّن أن أسباب النزول صحيحة الأسانيد تكون مُعينة على فهم بلاغة القرآن ومعاني الآيات وأسباب نزول بعض الأحكام التشريعية وغيرها⁽¹³⁾.

ورغم هذا التفاوت بين المنهجيتين للقراءة الموضوعية لسور القرآن الكريم، فإن الطاهر وإصلاحي قد أكدا مكية سورة البلد وارتباطها بالعهد المكي وموضوعاته كما سيأتي بعد قليل. ويظهر أن الطاهر قد اعتمد على أغراض السورة واتفاق الجمهور لإثبات مكيتها، في حين أن إصلاحي بيّن أن سورة البلد مكية كلها من خلال دراسة نظمها وتزواجها مع سورة الفجر. لذا هذه الورقة ستدرس قراءتي ابن عاشور وأمين إصلاحي للسورة، وستوضح أن تركيب السورة التناظري -الذي يعتمد على النص وإشاراته اللغوية والموضوعية المكررة- يجعلها مكية كلها، وأن موضوعها وترتيبها في المصحف كذلك يجعلها مرتبطة بالسور المكية.

قراءتا الطاهر وإصلاحي للسورة:

يذكر ابن عاشور أن ترتيب نزول سورة البلد هو الخامس والثلاثون وأنها من القرآن المكي، ويقرر كون السورة مكية، فينقل أن الزمخشري والقرطبي يؤكدان مكيتها بالاتفاق، في حين أن ابن عطية نقل قولاً يزعم مدنيته بسبب السماح بالقتال في مكة يوم الفتح، ويذكر الطاهر أن السيوطي نقل رأياً يقول بمكية السورة إلا الآيات الأولى (الآيات من 1-4)،

ويذكر الطاهر أن الزمخشري أبطل كون السورة مدنية، لأن تكرار ضمير الغائب في السورة في الآيات 5-10 يعود إلى "الإنسان" في الآية الرابعة⁽¹⁴⁾.

والسورة كلها مكية عند الطاهر، وكونها مكية يؤثر على تفسيره لآياتها وربطها ببعض كوحدة واحدة، والنقاط التالية توضح كيف تظهر مكية ووحدة أجزاء السورة في قراءة ابن عاشور، وكيف عالج تعدد الأقوال في بعض معاني كلماتها:

1_ أغراض السورة التي يذكرها ابن عاشور تتضمن الحديث عن مكة ونبينا صلى الله عليه وسلم ومكانته الرفيعة وأجداده النبيين إبراهيم وإسماعيل عليهم الصلاة والسلام أو ساكني مكة من الحنفاء، ثم تتحدث السورة - كما يقول - عن البعث الذي ينكره المشركون في مكة، وعن صفاتهم من عدم شكر النعم المختلفة كالنطق والتفكير، وتفاجرهم بما عندهم من أموال⁽¹⁵⁾. وهذه الموضوعات التي ذكرها الطاهر مكية بامتياز، فالقرآن المكي بشكل عام يركز على البعث والنبوة.

2_ جعل ابن عاشور غرض السورة هو جواب القسم ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾ (البلد: 4)، ويمضي في شرح معنى "الإنسان" في الآية، فيجعله إما جنس الإنسان بالعموم وهو قول الجمهور، والمقصود في هذا السياق - كما يقول ابن عاشور - هم الكفار أو فرداً بعينه، ولكن ابن عاشور يميل إلى رأي الجمهور، وأن المعنى هو جنس الإنسان عمومًا، وأن التعيين لا يتناسب مع القسم في أول السورة ولا سياقها، ولا يوجد نُقُولٌ تصح تدعم الرأي الثاني، ويضيف بأن لفظ ﴿الْإِنْسَانَ﴾ هنا أُريد به أهل الكفر على وجه التخصيص؛ لقلة المسلمين في ذلك الوقت، ولأن القرآن يُطلق لفظ "الإنسان" بكثرة ويقصد به الكافر⁽¹⁶⁾. وهذا التعليل الذي يذكره الطاهر يرجح كون فاتحة السورة مكية وليست مدنية.

3_ يربط الطاهر معنى ﴿وَأَنْتَ حَلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ (الآية 2) بالقسم بالبلد في الآية الأولى، مبينًا أن معنى "حل" ليس الإقامة، بل: إما الإباحة؛ فيكون المعنى أن هذا القسم يؤكد حرمة مكة ومن يقطنها، وأن المشركين خالفوا ذلك عبر اعتدائهم على رسولهم المرسل

من عند الله، وأنهم أحلوا التعرض له، أو معنى "حل" التحليل؛ أي أن الرسول صلى الله عليه وسلم غير مؤاخذ باعتدائهم عليه في هذا البلد، فيستطيع مقاتلتهم في المستقبل يوم الفتح، فتكون هذه الآية "تسلية" للنبي ﷺ، وأن الله أعلمه بهذه التسلية وعدًا له بالتمكين قبل أن يُخبر سبحانه عما يلاقيه من أذى الكفار وإعراضهم⁽¹⁷⁾.

4_ يربط الطاهر القسم بالبلد وهي مكة في فاتحة السورة بمعنى ﴿وَالِدٍ وَمَا وَلَدَ﴾ (الآية 3)، فيذكر أن "والد" يعود على إبراهيم عليه السلام الذي جعل مكة بلدًا لابنه إسماعيل عليه السلام، ثم جاء من نسله محمد صلى الله عليه وسلم، وينوه الطاهر بأن مناسبة ذكر الوالد والولد هي تذكير أهل مكة بجيادهم عن طريق إبراهيم عليه السلام وذريته من بعده⁽¹⁸⁾. ومن خلال هذا الربط بين القسم ومعنى "والد" بأنه إبراهيم عليه السلام يجعل الطاهر سياق السورة من أولها هو المرجح بين المعاني.

5_ يُنكر الطاهر على المفسرين التخطي في تفسير معنى "كبد" (الآية 4) بما لا يدعمه السياق ولا القسم في البداية، ويذكر أنه بعد تكرار القسم لتوكيده في الافتتاحية، تمضي السورة للحديث عن خلق الإنسان في كبد لإثبات البعث كما جاء في السورة المكية السابقة النزول، ويعلل إنكار الكفار للبعث بأنهم في حالة الكبد أي المشقة والتعب الحاصلان بسبب شركهم وأهنتهم، ثم دعائهم الله أن يرزقهم وينجيهم من الضر، فكيف يظن الإنسان الكافر أن الله غير قادر على إعادة الخلق كما خلق أول مرة، ولدعم هذا المعنى يستخدم الطاهر معنى كلمة "الخلق" في اللغة، ويستشهد بسورة القيامة (الآيات 3-4)⁽¹⁹⁾.

6_ وفي ربط الآيات 6-7: ﴿يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَا لَا بَدَأَ﴾ بالمقدمة يذكر الطاهر أنه بعد الحديث عما يجول في نفس المشرك، تأتي الآيات لتذكر أقوال المشرك في الجاهلية، وتبججه وتفاخره بالمال وإتلافه⁽²⁰⁾.

7_ يشرح الطاهر أن الآيات 8-10 تعلق ما سبقها من ذكر غفلة الإنسان عن إعادة خلقه، وظنه أن الله غير قادر على ذلك، فتذكر الآيات الأدوات التي أعطاها الله للإنسان من العينين والشفنتين واللسان والنجدين؛ ليدرك الحق والهداية ويفرق بين الخير والشر، ثم تأتي الآيات 11-17 لتبين أن الإنسان المخاطب لم يمحض في سبيل الحق، ولم يقتحم العقبة عبر إنفاق ماله في أعمال الخير -مثل فك الرقبة أو الإطعام- بدلاً من صرفه في الخمر والميسر وغيرهما، ويجعل ابن عاشور "فَلَا اقْتَحَمَ" للاستفهام الإنكاري كون المخاطب يعرف فضيلة الفك والإطعام ولكنه اختار العكس⁽²¹⁾. ويمضي ابن عاشور شارحاً أن "العقبة" المتكررة (الآيات 8-9) موضحة في فك الرقبة والإطعام (الآيات 13-14)، وكأن العقبة "استعارة"⁽²²⁾ استخدمت "للأعمال الصالحة الشاقة على النفس"⁽²³⁾. وبهذا يوجد الطاهر المناسبة بين إدعاء الإنسان إهلاك المال (الآية 6) وبين منحه أدوات التمييز (الآيات 8-10)، ثم مخاطبته بأنه امتنع عن اقتحام العقبة رغم ما فيها من عسر ومشقة وحاجة للصبر، وامتنع عن بذل أمواله في سبيل الخير والرحمة والمنفعة. ويذكر الطاهر أن الآيات توبخ المشركين على عدم نفعهم لمجتمعهم وانغماسهم في التفاخر المذموم، وأن الإسلام جاء بتلك التعاليم وجعلها جزءاً من منظومته وشرائعه⁽²⁴⁾. وفي ربط الآية 17 بما قبلها، يذكر ابن عاشور أن الإنسان الموبخ سابقاً ليس من الذين آمنوا وعملوا الصالحات المذكورين: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ﴾ [البلد: 17]، ويعلل تخصيص وصف المؤمنين بالتواصي بالصبر والرحمة في هذا السياق بكون الصالحات تقوم على الصبر، والمجتمعات تصلح بالرحمة⁽²⁵⁾.

8_ آخر السورة (الآيات 18-20) يُثني على المؤمنين ويشرهم، فهم أصحاب الميمنة "أي أصحاب الكرامة عند الله" كما يقول الطاهر، ثم يذكر المقطع أصحاب المشأمة من باب "رد العجز على الصدر"، و"الطباق بين الميمنة والمشأمة"⁽²⁶⁾، فيكون ذكر أصحاب المشأمة هو تنمة الحديث عن الإنسان المذموم سابقاً⁽²⁷⁾. وهنا يربط الطاهر بين ذكر الفريقين والوعد والوعيد.

أما إصلاحه فلم يسلك ابتداءً طريقة ابن عاشور الخطية/الأفقية في ربط أجزاء السورة وموضوعاتها، بل قسّم السورة إلى أربعة مقاطع، لكل مقطع موضوع رئيس كما يلي⁽²⁸⁾:

1_ الآيات 1-4: التذكير بتاريخ مكة الصعب منذ زمن إبراهيم وإسماعيل عليهم السلام، وإنعام الله على مكة بالأمن والطعام وسائر النعم. ويسمى إصلاحه هذا المقطع بـ "شهادة".

2_ الآيات 5-7: الحديث عن "واجب" أهل مكة تجاه الله والنعم، كالإنفاق وإعطاء المساكين، ويذكر المقطع أنهم عندما يُطلب منهم الإنفاق لوجه الله، يقولون أنهم أنفقوا أموالهم على أمور أخرى وماذا يجب عليهم بعد؟ وكأنهم لا يعلمون إطلاع الله عليهم وعلى إنفاقهم في غير وجهه الخير.

3- الآيات 8-17: توبيخ الله تعالى لهؤلاء بأنه منحهم عينين ولساناً وشفيتين، ليصروا ويتعلموا من الحياة السابقة قبل إنعام الله، وليقولوا الحق، ويدلوا الناس على سبل الخير ومساعدة الآخرين، وهداهم النجدين ليفرقوا بين الخير والشر، ويقاوموا فعل الشر وعدم الإنفاق على المحتاجين، فالذين آمنوا وعملوا الصالحات متصفون بالصبر والمرحمة، ومع هذا فإن المخاطبين تعلقوا بالأموال، وجحدوا نعم الله ولم يشكروها بالإنفاق في سبيله.

4_ الآيات 18-20: هذا المقطع يخبر بمصير هؤلاء يوم القيامة وهو نار مؤصدة، ولو أنهم اتبعوا السبيل وآمنوا باليوم الآخر حين يبعثون، لنالوا جزاء النعيم في الآخرة.

ويصرح إصلاحه بمكية سورة البلد، وكونها من العهد المكي الأول، وربطها بسورة الفجر المكية، وذكر تشابه عمودي السورتين وتقاربهما الشديد، فسورة الفجر تعالج المفاهيم القرشية التي ترى أن إنعام الله عليها هو تكريم منه لهم، في حين أنه لو ابتلاهم بعدم النعم قالوا بأن الله أهانهم، ولكن السورة تصحح تلك الرؤية وتخبرهم بأنه في كلا الحالتين يختبرهم الله ليشكروا ويعطوا المحتاجين، وتلك هي النفس مطمئنة الراضية المرضية في آخر سورة الفجر، ثم تأتي سورة البلد لتذكر قريشاً بالتحديد بإبراهيم وإسماعيل عليهم السلام، ونعم الله

على هذا البلد منذ ذلك العهد بالأمن والخيرات، وكيف أنها بلد حرام لا يجوز فيها الاعتداء على الطير ولا الحيوان ولا الإنسان، ولكن قريشًا لم تتعلم من آبائها والأحداث التاريخية التي مرت بها مكة كيف تشكر الله المنعم عبر اللسان والإنفاق على المحتاجين، بل أنفقت أموالها فيما لا ينفع⁽²⁹⁾.

ومما يدل على مكية السورة أيضًا عند إصلاحي هو ذكره بأن القَسَم في أول سورة البلد يشبه القسم في فاتحة سورة القيامة، ويذكر أن القَسَم بالبلد هو نفسه القَسَم بالبلد الأمين في سورة التين، وقدسية هذا البلد وأمنه وتاريخه معروف للرسول ﷺ وسلم ولقريش، وعلى قريش أن تتحمل تبعات معيشتها في هذا المكان⁽³⁰⁾. ويمضي إصلاحي في تفسير بقية آيات السورة بناء على أن القسم في أول السورة جاء لإبطال ادعاء قريش في سورة الفجر، فيكون المخاطب بـ "وأنت حل" إما الرسول ﷺ وإما قومه، ويبدو أنه يرجح معنى الإقامة لكلمة "حل"، وإن لم يصرح بذلك، ولكنه استخدم تعبير "المعيشة" في هذا البلد، ويذكر أن معنى "والد وما ولد" هو إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام وذريته، و"الإنسان" في الآية الرابعة هم قريش المنحدرة من إسماعيل عليه السلام، وأن هذا التاريخ بحكم وجودهم في هذا المكان معروف لهم؛ وبالتالي يمكنهم معرفة صدق دعوة الرسول محمد من عدمها. وفي هذا السياق يكون معنى "في كبد" متعلق بتاريخ العرب وعيشهم الصعب وعدم وجود قوانين لحماية أرضهم ومصالحهم حتى جاء إبراهيم عليه السلام، ودعا دعوته الشهيرة لهذه البلد، فكل ما ترفل فيه قريش هو من دعوته المباركة، وأن استمرار النعم مشروط بتقديم قريش للإيمان والشكر، وألا ينفقوا أموالهم كيفما يشاءون، ويذكر إصلاحي شواهد على هذه المعاني من القرآن المكي وتحديداً سورتي إبراهيم وقريش، ولكن قريشًا لم تقم بالواجب المطلوب، وظنت أن الله غير قادر عليها وعلى تدميرها (الآية 5)، وأهلك الأموال في غير إعانة المحتاجين، وظنت أن الله لن يراها، ولكن في يوم القيامة ستعرض عليهم وعلى غيرهم جميع أفعالهم⁽³¹⁾.

ويستمر إصلاحي في ربط مقاطع السورة ببعضها البعض، ويذكر أن منح الله للإنسان العينين واللسان والشفتين هو ليرى النعم ويدرك حقيقتها فلا يقع في التعلق بها، ويعمل بها صالحاً لليوم الآخر، وليحض الآخرين على ذلك عبر استخدام اللسان والشفتين، ويعقب بأن هذه المعاني داخلية فيما سيأتي بعد ذلك في السورة من التواصي بالصبر وبالمرحمة، وبما جاء في السورة السابقة من الحض على فعل الخير (الفجر: 18) أو سورة العصر من التواصي بالحق والصبر⁽³²⁾. وأما ما جاء من هداية الإنسان النجدين فيربطه إصلاحي بسورة الإنسان (الآية 3) والشمس (الآيات 7-10) والقيامة (الآية 2)، ويشرح بأن التفريق بين الخير والشر موجود في فطرة الإنسان، وجعل إصلاحي معنى "العقبة" هي الطريق الصعب، وعدم اقتحام العقبة يعني عدم تقديرهم لتلك النعم، وعدم أدائهم حق الله وحق خلقه، وأن اقتحام العقبة يعني التغلب على المصاعب، والشجاعة والقدرة على التحكم بالشهوات والمنافع العاجلة لأجل الآخرة، وفعل ما يقرب من الله من فك الرقاب والإطعام، وجعل إصلاحي "فلا" بمعنى الأمر، ويتحدث إصلاحي عن الرق وكيف دعا الإسلام من بداية العهد المكي كما هذه الآيات إلى تحرير العبد وجعلها فضيلة من الفضائل، ثم تذكر السورة التواصي بالصبر والمرحمة؛ لتعلقهما باقتحام العقبة المشروح بالفك والإطعام كما يقول إصلاحي، وأن الإقدام على هذه الأفعال الحسنة لا يكون إلا بقهر النفس وشهواتها، وحث الآخرين على فعلها⁽³³⁾.

وفي آخر مقطع يعلق إصلاحي بأن من قام بهذه الفضائل هم أصحاب الميمنة في الآخرة، والميمنة كما يشرحها مأخوذة من "اليمين" أو من "اليمن" وهو البركة، ويربط التسمية بأصحاب الميمنة والمشأمة بما جاء في سورة الحاقة المكية من أخذ أصحاب اليمين لكتبهم باليمين، وأصحاب الشمال لكتبهم بالشمال، وإصلاحي يربط بحجيء "نَارٌ مُؤَصَّدَةٌ" في آخر السورة، فيذكر أن أصحاب الميمنة في أعلى مكان في "أبنية" الجنة، في المقابل فإن الكفار في النار موصد عليهم الباب⁽³⁴⁾.

مناقشة: وبعد هذا الاستعراض لقرائي الطاهر وإصلاحي، يمكن القول بأن الطاهر وإصلاحي لا يلتفتان إلى الخلاف حول مكية فاتحة السورة، ويمكن ملاحظة وجود عدد من التشابهات والاختلافات، وأن السبب هو اعتبارات كل منهما في القراءة، ففي حين أن الطاهر قد اهتم بالسياق والترتيب الأفقي للآيات وأغراضها، نجد إصلاحي قد ربط السورة ككل بالسورة السابقة وهي سورة الفجر وعمودها، وبسبب المزاوجة بين السورتين فلا يركز إصلاحي على فكرة المعاد والبعث بشكل رئيس في فهمه للسورة، ولا يجعلها الرابط بين معنى الكبد ومعنى "أيحسب ألن يقدر عليه أحد" كما فعل ابن عاشور، بل يجعل ترابط مقاطع السورة متعلقًا بتاريخ العرب الصعب والشديد، ومن ثم باستجابة الله لدعوة إبراهيم عليه السلام وإنعامه على أهل هذا البلد، ويستخدم إصلاحي العديد من الشواهد المكية وغيرها لتعزيز هذه المعاني، فكأنه يفسر القرآن بالقرآن كما ذكر في منهجه. والسورة في فهم إصلاحي تهدف إلى معالجة تصرفات أهل مكة تجاه نعم الله عليهم، وهذه التصرفات مبنية على اعتقادهم الذي جاء في سورة الفجر أن الإنعام عليهم هو تكرم من الله وأن الابتلاء والمنع هو من الإهانة، وعلى هذا يجعل إصلاحي معنى "حل" متعلق بالإقامة في المكان فقط، ولا يذكر المعاني الأخرى. ولأن السورة كلها مكية عند إصلاحي فلا يذكر الإذن بالقتال يوم الفتح، ولا يعتبر "وأنت حل" للمستقبل.

وعلى العكس فإن الطاهر لم ينح في تفسيره تجاه التركيز على سورة الفجر التي تذكر صفات الإنسان المكّي تجاه النعم، فالطاهر من البداية يربط أغراض السورة بفكرة البعث واليوم الآخر الذي تكذّب به قريش، ثم يجعل السورة توبخ المشركين على تصرفاتهم في المال وعدم انتفاعهم بالحواس في معرفة الحق. ولأن السياق عند ابن عاشور متعلق بموضوع المعاد، فيذكر أن معنى الخلق في كبد مرتبط بالكافر والمشقة في داخله بسبب دعوته الآلهة وتشنته بينهم، وأنه يظن عدم قدرة الله على إعادة خلقه، والفعل "خلقنا" يتعلق بمعنى "جعل يغير ذات الشيء" عند الطاهر⁽³⁵⁾، ويمكن القول بأن هذا المعنى لا يدعمه سياق السورة فالآلهة لم تُذكر، والسورة تركز على النعمة بالبلد وعلى أفعال الإنسان الكافر تجاه المال الكثير،

وتبين عدم اقتحامه للعقبة وصبره على ذلك، والسياق أقرب لبيان تعرض الإنسان ومكابدته لمشاق الحياة، وبهذا المعنى قال الزمخشري⁽³⁶⁾، وأن تقلب الإنسان بين الشدائد والنعم المختلفة (المال الوفير كما في السورة) هو سنة كونية، كما أن محور السورة - كما سيأتي في المبحث التالي - يذكر حواس الإنسان التي مُنحت له في هذه الحياة ليهتدي ويعمل لأنه محاسب في اليوم الآخر، وسورة الفجر تدعم هذا المعنى عبر مجيء الحديث عن الإنسان والابتلاء بالنعم واختتامها بالحديث عن اليوم الآخر. ولا يغفل الطاهر الحديث ((وإنما أحلت لي ساعة من نهار))⁽³⁷⁾ لفهم معنى الحل في البلد⁽³⁸⁾، فيجعله إما إباحة قريش لنفسها إيذاء الرسول ﷺ في البلد الحرام أو الإذن له بقتلهم لاحقاً، وهو يختار هذين المعنيين؛ لأن السياق يُعظّم البلد المحرّم فيه الإيذاء، فالآيات توبخهم على تعرضهم للرسول ﷺ في البلد الذي يحرمون فيه الصيد وغيره، وجعل الإنسان المخلوق في كبد هو الإنسان الكافر المشرك. واعتبار هذه المعاني لمعنى الحل يبدو بعيداً عن سياق السورة حول الكبد المشقة والإنعام بالحواس والعقل واقتحام العقبة. ولا يربط ابن عاشور بين فاتحة السورة عن البلد والقسم بها وبين خاتمها عن فريق المؤمنين وفريق الكفار، إلا أنه يربط بين الإنسان (الآية 4) وبين مصير الكفار وعذابهم (الآية 19-20). وأخيراً يتفق الطاهر وإصلاحي في أن خاتمة السورة تذكر المؤمنين فاعلي الخير الصابرين المتراحمين، وجزاء من كفر بالآيات.

وفي المبحث التالي ستم قراءة مقاطع السورة بطريقة تناظرية ومقارنة نتائج التحليل بهاتين القرائتين، وسيظهر دور تحديد موضوع السورة الرئيس في فهم المعاني وربط أجزاء السورة، وأن قراءة إصلاحي والقراءة التناظرية أقرب إلى سياق السورة نفسه ومع موضوعات السور السابقة النزول أو السورة قبلها في ترتيب المصحف.

المبحث الثاني: تطبيق نظرية التناظر في قراءة سورة البلد:

تعتمد القراءة التناظرية على أن النص مركب من قسمين متناظرين، وأنه يبدأ بأفكار معينة، ثم يذكر أفكاراً أخرى، ثم يعود في الخاتمة إلى ذكر الأفكار التي جاءت في البداية، وهذا هو المقصود بمفهوم الحلقة أو الخاتم. ويكون التناظر إما على: شكل معكوس (أ / ب / ب' / أ')، أو متوازٍ (أ / ب / أ' / ب')، وقد يكون معكوساً مع محور: (أ / ب / م / ب' / أ')، أو متوازٍ مع محور: (أ / ب / م / أ' / ب'). وتوجد في النص إشارات لغوية (مفردات متكررة الجذر أو مترادفة أو متضادة) تساعد على تحديد بداية ونهاية كل مقطع، وتحديد نقطة المنتصف التي تقسم النص إلى قسمين متناظرين، كما تقوم هذه الكلمات بربط المقاطع والأفكار مع بعضها⁽³⁹⁾. وتجدد الإشارة إلى أن هذه الطريقة في القراءة تعتمد على التفسير لفهم الآيات ومعاني الكلمات، وتساعد كذلك على توليد معاني جديدة، وإيجاد المناسبات والروابط بين الآيات بناء على محور السورة الرئيس والسياق لا بناء على الآراء الشخصية⁽⁴⁰⁾.

والجدول التالي يوضح ترتيب آيات سورة البلد تناظرياً:

القسم الأول	
(أ)	
لَا أَقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ ١ وَأَنْتَ حُلُّ بِهَذَا الْبَلَدِ ٢ وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ٣ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ ٤ أَيْحَسِبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ٥ يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُبَدًا ٦ أَيْحَسِبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ ٧	
المحور	(م) أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ ٨ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ٩ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ١٠
(أ')	
فَلَا أَقْتَحِمُ الْعَقَبَةَ ١١ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ ١٢ فَكُ رَقَبَةً ١٣ أَوْ إِطْعَمَ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْعَبَةٍ ١٤ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ١٥ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَرْبَةٍ ١٦ ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ ١٧ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ١٨ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَأْيَتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ١٩ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّوَصَّدَةٌ ٢٠	
القسم الثاني	

جدول 1: التحليل التناظري لسورة البلد

وبالنظر في الجدول السابق (جدول 1) يتضح أن السورة تنقسم إلى قسمين: الآيات من 1-7، الآيات من 11-20، والقسمان مرتبان بشكل معكوس (أ/ م/ أ')، والمحور هو الآيات 8-10، والتناسق الإيقاعي لفواصل كل جزء من السورة واضح، فالقسم الأول ينتهي بالمدال، والثاني بالتاء المربوطة، والمحور بالياء والنون، ولا يخفى ما في هذا الإيقاع من وقع وتأثير في السامع وتعزيز المعاني، والتقسيم الموضوعي للسورة كما يلي:

القسم الأول	
(أ) خلق الإنسان في كبد: مكانة مكة وأجدادها (المؤمنين) وتصرفات الإنسان الكافر بالشر	
(م) الإنعام على الإنسان بأدوات الإدراك والهداية	
(أ') الإيمان والتواصي بالصبر والمرحمة: اقتحام العقبة وأصحاب الميمنة وأصحاب المشأمة	
القسم الثاني	

جدول 2: موضوعات سورة البلد وفق التحليل التناظري

الجدول 2 يُبين أن محور السورة -بالرمز (م)- هو الإنعام على الإنسان الكافر بأدوات الإدراك والحس وطريق الهداية، وقدرته على تبيين الخير من الشر، وأن هذه الأدوات مُنحت لأن للإنسان معاد ليُجزى على أفعاله، لذا السورة تذكره بالنعم، مثل: البلد الآمن والمال الوفير، وتحذره من عاقبة إهلاك الأموال تفاخرًا واعتدًا بالمال والقوة، ونسيان المعاد وعدم اقتحام العقبة، وعدم الإيمان بالرسول ﷺ سليل الآباء المؤمنين. وهذا المحور يربط موضوعات وأقسام السورة، ويجعل المعاني كلها في خدمة المحور كما سيأتي في ترابط أقسامها. وبهذا يقول السامرائي: «والسورة كلها مَبْنِيَّةٌ على هذا الأمر، فهي مبنية على مكابدة الإنسان للشدائد والمصائب والمشاق. وكل لفظة وكل تعبير في هذه السورة مبني على ذلك ويخدم هذا الشيء»⁽⁴¹⁾.

ويُظهر التحليل أن القسم الأول - بالرمز (أ) - يتحدث عن مكابدة الإنسان في الحياة لشدائدها في سياق يذكر البلد الحرام، ومكانته وحرمته، ومكانة ساكنيه من إبراهيم وذريته إسماعيل ومحمد عليهم الصلاة والسلام الذي يدعوهم لطريق الخير، ويحذرهم من إهلاكهم الأموال تفاخرًا بما عندهم، وظنهم عدم قدرة الله على سلبهم النعم، وعدم رؤيته لأفعالهم المرائية، وأنه لن يحاسبهم في اليوم الآخر. في المقابل يجعل القسم الثاني - بالرمز (أ') - الإيمان المفضي إلى الصبر والرحمة هو السبيل لمكابدة النفس لفعل الخيرات؛ لتكون في الآخرة من أصحاب الميمنة لا من أصحاب المشأمة الذين كفروا بالآيات ولم يفعلوا صالحًا، فتربط السورة بين الإيمان بالله والعمل الصالح (فك الرقبة، الإطعام، الصبر، الرحمة) وبين الإيمان باليوم الآخر حين يُجازى كل فريقٍ على اختياره الطريق وعمله.

وهذه القراءة تجعل القسم الأول متعلقًا بموضوع الإيمان بالله، ومعرفة صفاته بأنه الخالق والرازق للنعم، وبأنه متصف بالقدرة والعلم، في حين أن القسم المقابل يؤكد على موضوع اليوم الآخر والجزاء العادل لمن نسي صفات الله وكفر بآياته. وابن القيم يُشير إلى هذا المعنى في تفسيره للسورة، ويذكر أن الله أعطى الإنسان أدوات الإدراك وهداه السبيلين لتقوم عليه الحجة، ويتابع أن مَنْ عَلِمَ بهذه الصفات الربانية ذات الكمال (القدرة والعلم)، وكان عاقلًا عرف قدر المخلوق، وأنه مفطور ليفرق بين الخير والشر، وعرف أن الرسل عليهم السلام أتوا لتذكيره وتخليصه من عبوديته لنفسه ولغير الله، وعرف أنها دعوة من الله لعباده إلى التوبة والرجوع، واقتحام العقبة بالإحسان إلى العباد طلبًا للفلاح⁽⁴²⁾.

تناظر القسم الأول (أ): هذا القسم يتكون من جزأين ومحور هو جواب القسم (الآية الرابعة) كما يلي:

لَا أَقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ ١ وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ ٢ وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ٣	
لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ ٤	
أَيَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدَرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ٥ يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَا لَّا لُبَدًا ٦ أَيَحْسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ ٧	

جدول 3: ترتيب القسم الأول (أ)

الجدول 3 يبين كيف تترتب آيات القسم الأول وموضوعاته، وما يلي يوضح هذا الترتيب وأثره على فهم معاني الآيات:

1_ الآيات 1-3 مرتبة بشكل متوازٍ، وتحدث عن مكانة مكة وعظمتها، ومنزلة ساكنها وهو الرسول صلى الله عليه وسلم، وآبائه إبراهيم وإسماعيل عليهم الصلاة والسلام. وذكر ابن القيم أن القسم يعظم البلد الحرام والرسول، وأن هذا من عظيم نعم الله والدلالة على كونه الرب الواحد⁽⁴³⁾. والقسم بمكة يُرجح أن معنى الحل هو الإقامة في مكة في الحال وليس المقصود به المستقبل (كما ذكر القرطبي أنها للمستقبل، ووعد بالإكرام للرسول⁽⁴⁴⁾)، وهو المعنى الذي ذهب إليه إصلاحي، وبه قال أبو حيان؛ لأن السورة مكية كلها بالاتفاق كما يقول، وذكر أن القسم بمكة وتشريفها كان حين أضيفت لله وبإقامة رسوله فيها⁽⁴⁵⁾. وتعليل أبي حيان يتمشى مع السياق من البداية. أما الرازي فقد حاول الجمع بين المعاني الثلاثة لكلمة "حل" هنا عبر خمس أقوال، وأحدها أن القسم متبوع بذكر مكانة الرسول ﷺ، ومعرفة قريش بذلك لكونه منهم⁽⁴⁶⁾.

وتعددت الأقوال حول المراد بالوالد والولد، منها: آدم عليه السلام وذريته، إبراهيم وإسماعيل ومحمد عليهم السلام، كل والد وكل ولد، الذي يلد والولد الذي لا يلد، وغيرها⁽⁴⁷⁾. وأنسب الأقوال للسياق والقسم هو أنه راجع إلى آباء النبي ﷺ؛ لأن النبي ﷺ خوطب تعظيمًا في الآية التي قبلها، ويؤيده كذلك أن الجزء المقابل في القسم الثاني (أي الآيات 18-20) يتحدث عن أصحاب الميمنة، وإبراهيم وإسماعيل والرسول عليهم الصلاة والسلام هم أصحاب الميمنة.

وعلاقة محور السورة بهذا الجزء أن الإنسان المخاطب مُنعم عليه بنعم الحواس والإدراك، كما منعم عليه بالبلد المعروف أمنها، وبالرسول المعروف نسبه وخلقه، والذي يدعوهم إلى الإيمان والعمل الصالح، ويذكّرهم بنعم الله عليهم، وقدرته وإحاطته بهم. والاستفهامات "ألم نجعل..."، "أيحسب... " تربط بين المحور والقسم الأول. وألفاظ مثل: "يقول"، "ولسأنا وشفقتين" تتماشيان وتربطان القسم بالمحور، فالإنسان الذي يقول أنه أهلك ماله الوفير، استعمل لسانه وشفتيه في عمل غير صالح وهو التباهي والتفاخر.

2_ محور هذا القسم هو جواب القسم ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾⁽⁴⁸⁾، والمقصود هو الإنسان بشكل عام وتحديدًا الكافر المخاطب بدليل أن الآيات 5-7 تحذره من عاقبة تصرفاته. هذه الآية تقرر إحدى سنن الكون وهي مكابدة الإنسان للصعاب والمشاق في هذه الحياة، ومنها الصبر على فعل الخيرات، وقهر شهوات الإنسان وغرائزه، وهنا السورة تخاطب أهل مكة الذين خاطبتهم سورة الفجر (الآيات 15-16) حول الابتلاء والنعم والإكرام كما ذكر إصلاحي. وقد ذهب أبو حيان إلى أن معنى الكبد هو "مشاق الدنيا والآخرة"⁽⁴⁸⁾.

3_ يتحدث هذا الجزء (الآيات 5-7) عن أقوال وتصرفات الإنسان المذكور في الآية 4، فتخبر الآيات 5-7 عن قدرة الله ورؤيته لما يفعلون بالنعم الوفيرة التي أعطاهم إياها الله تعالى في هذا البلد الحرام، وتذكر أفعال الإنسان الكافر في أمواله التي أنعم الله بها عليه

في هذا البلد، فهو يُفنيها ويهلكها وينفقها مفاخرة فيما لا ينفع نفسه ولا مجتمعه كما سيأتي في القسم الثاني. وهذا التفاخر دافعه اعتقاده بقوته وسلطته ناسياً قدرة الله عليه وإطلاعه على أعماله، يقول أبو حيان: « والظاهر: أن الضمير في (أيحسب) عائد على (الإنسان) أي هو لشدة شكيمته وعزته وقوته يحسب أن لا يقاومه أحد، ولا يقدر عليه أحد لاستعصامه بعدده وعدده. يقول على سبيل الفخر (أهلك ما لا لبداً) أي في المكارم وما يحصل به الثناء (أيحسب أن أعماله تخفى وأنه لا يراه أحد، ولا يطلع عليه في إنفاقه، ومقصد ما يبتغيه ما ليس لوجه الله منه شيء بل عليه حفظة يكتبون ما يصدر منه من عمل حياته ويحصونه إلى يوم الجزاء ... » (49).

وآيات هذا الجزء مرتبة أيضاً بشكل متوازٍ كما الجزء الأول (الآيات 1-3) المتناظرة معه، التكرار في الآيتين 5 و 7 يجعل القدرة والرؤية متناظرتين: ﴿ أَيْحَسِبُ أَنْ لَنْ يَقْدَرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ۖ ﴾ ﴿ أَيْحَسِبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ ۖ ﴾ والقدرة هنا لا تشير إلى البعث والمعاد بشكل مباشر كما ذكر بعضهم (50)، ولكنها تشير إلى قدرة الله على إزالة النعمة عندما يهلكها الإنسان تفاخراً وتكبراً؛ لأنه هو الذي أنعم على هذه البلد وأهلها بالخير الوفير، وهو القادر على محاسبة الإنسان في اليوم الآخر. وتكون الرؤية في هذا السياق إشارة إلى أن الله يرى رياء الإنسان وتفاخره وقت الإنفاق كما قال الزمخشري (51)، وهذه الرؤية تؤكد أن الإنسان سيُحاسَب، بالتالي ترتبط أجزاء هذا القسم، فالجزء الأول يُظهر مكانة مكة وساكنيها وتاريخها المليء بالنعم والإكرام من الله حيث بعث فيهم رسولاً منهم، ثم ينتهي هذا القسم بتوبيخ الإنسان على أفعاله تجاه النعم ونسيانه قدرة وإطلاع الله عليه. وهذا التناسب بين الجزأين المتناظرين ينسجم مع محور السورة الذي يذكر الإنسان بإنعام الله عليه، وهو منحه الحواس والإدراك ليبصر الطريقين ويتبع ملة الآباء الصحيحة.

تناظر القسم الثاني (أ):

فَلَا أَفْتَحَمَ الْعَقَبَةَ ١١ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ ١٢ فَكُّ رَقَبَةٍ ١٣ أَوْ إِطْعَمٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ١٤ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ١٥ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ١٦
ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ ١٧
أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ١٨ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَالِغِينَ هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ١٩ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُؤَصَّدَةٌ ٢٠

جدول 3: ترتيب القسم الثاني (أ)

تناسب هذا القسم وعلاقته بالقسم السابق ومحور السورة كالتالي:

1_ الآيات 11-16 توبخ الكافر الذي مُنِح أدوات الحس والإدراك لعدم اقتحامه العقبة وتحرره من شهواته، فالإقتحام يعني "الدخول والمجازة بشدة ومشقة"⁽⁵²⁾، والاقتحام يحمل معنى المجاهدة والصبر وهو يتماشى مع الخلق في كبد. وتوجه الآيات إلى أن فك الرقاب، والإطعام للمسكين أو اليتيم القريب في يوم جوع شديد من القرب التي يقتحم بها العقبة ويظهر بها شكره للمنعم، فيكون صالحًا في نفسه بمقاومة شهواته، وصالحًا في مجتمعه بمساعدته ومعاونة الضعفاء فيه.

وترتبت آيات هذا الجزء بالتوازي. واتصال هذه الآيات بما يقابلها في القسم الأول (الآيات 5-7) واضح، فكلًا الجزأين يتناول الحديث عن الثروة، الجزء الأول يذكر الإنسان الكافر وتصرفاته المهلكة للثروة واعتداده بقوته وأمواله، في حين أن الجزء الثاني يوجه على عدم اقتحامه العقبة، وعدم فعله للخير في الأيام الصعبة. والجزء الأول يتحدث عن الله تعالى الخالق المنعم القادر المطلع على أعمال العباد الغير صالحة، وهذا الجزء يتحدث عن الأعمال الصالحة التي تنفع العبد والعباد.

وفي ترابط محور السورة مع هذا الجزء؛ كلمات مثل: العقبة والنجدين متماشية، العقبة تعني "طريق في الجبل وعر"، والنجد "الطريق في ارتفاع"⁽⁵³⁾، ولفظ "رقبة" يتماشى مع محور السورة الذي يذكر أجزاء من جسم الإنسان، والرقبة تشير إلى الحياة الكريمة والحرية، وفكّها يعني تخليصها من عبوديتها (ويدخل ضمنها العبودية لغير خالقها). والرق فيه مكابدة وعناء شديد، كما يوم الجوع الشديد، وهذه الألفاظ ومعانيها متناسبة مع معنى الكبد⁽⁵⁴⁾.

2_ الآية 17 تشكّل محور هذا القسم الأخير في السورة، وتؤكد أن الذين آمنوا وتواصوا بالصبر والمرحمة قدروا على اقتحام العقبة حين استخدموا حواسهم وإدراكهم في الاختيار بين النجدين. فالإيمان بالله تعالى يقود إلى فعل الصالحات، بل ويجعل الإنسان يستخر حواسه لحث الناس على الخير، كما يفعل الرسول الكريم الذي جاء نعمة عظمى لأهل هذا البلد يدعوهم ليؤمنوا ويعملوا صالحًا. ومعنى "ثم" هنا للتراخي في الرتبة وبيان أن هذه الأعمال تكون بعد الإيمان⁽⁵⁵⁾.

ويظهر من التحليل التناظري أن محوري القسمين متناسبان من حيث المعنى وانسجام الألفاظ: الأول يتعلق بخلق الإنسان في كبد (الآية الرابعة)، والثاني بصفات الذين آمنوا وتواصوهم بالصبر والمرحمة (الآية 17)، ويتناسب معنى "كبد" والصبر، فالكبد تعني التعب والمشقة، والصبر فيه بذل الجهد للتحمل. وقد تبين أعلاه أن الآية الرابعة توضح سُنّة الحياة، ومكابدة الإنسان لصعوباتها وعمل الخير فيها، في حين أن الإيمان في الآية 17 هو ما يمد الإنسان بسبل المقاومة، وما يجعله متصفاً بالصبر والمرحمة في مواجهة شدائدها وشهواته، والجزء التالي (الآيات 18-20) سَتُشير إلى أن الحياة لا تنتهي بالموت، بل سيحاسب الإنسان على أعماله، ويكون مصيره في الحياة الآخرة وفقاً لما عمله في هذه الدنيا. وهنا تكمن الإشارات إلى اليوم الآخر -وهو موضوع مكّي رئيس ولا تخلو سورة منه-، وأيضاً يتبين من خلال هذه القراءة الانسجام بين سورتي الفجر والبلد، فسورة الفجر في آخرها تتناول مشاهد من اليوم الآخر وأحداثه ومصير كل فريق (الآيات 21-30).

3_ الآيات 18-20 المرتبة بشكل متوازٍ تذكر الفريقين، ومصير مَنْ لم يقتحم، وأهلك المال بلا فائدة، وتذكر الإنسان برجوعه إلى الخالق، وأن الذين آمنوا علموا بحتمية الرجوع، فتواصوا بالصبر والرحمة، وعرفوا كيف يتغلبون على شهواتهم ليسلكوا طريق أصحاب الميمنة. وذكر الفريقين (أصحاب الميمنة والمشائمة) يتناسب مع ذكر النجدين في محور السورة، ويدل على اتباع كل فريق نجداً فاختلفت مصائرهم، وأن الأجداد أهل مكة المؤسسين - إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام- قد اتبعوا سبيل الخير، وقادوا إليه عبر صبرهم وأفعالهم الرحيمة في دعوة مجتمعاتهم، فكانوا أصحاب الميمنة واليمين والخير والبركات في الدنيا والآخرة، أما مشركو مكة في زمن النبوة فقد كذبوا وكفروا، واتبعوا سبيل الهوى والرياء، وألفوا النعم المتتالية على هذا البلد، فأصابهم التفاخر والكبر، وحرصوا بعضهم على رفض رسالة الرسول ﷺ، وعطلوا حواسهم عن الإبصار والنطق الطيب والتفكير والإدراك. وهكذا يرتبط الجزء الأخير بمحور السورة وبفاحتها المتناظرة مع هذا الجزء.

وتعددت الأقوال حول معنى "العقبة" التي أتت في الجزء المقابل للآيات 18-20، وذكر بعضهم أن العقبة هي في الآخرة، وهي عقبة جهنم أو النار، ولم يرجح الرازي هذا المعنى، وذهب مع القول الذي يجعلها عقبة في الدنيا، وتعني بذل الإنسان للجهد في مقاومة الهوى والشیطان والمحرضين بالسوء من الناس⁽⁵⁶⁾. والقراءة التناظرية بين الجزأين في هذا القسم تبين أن العقبة المذكورة في أول القسم متناظرة مع الآية الأخيرة ﴿عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤَصَّدَةٌ﴾ (الآية 20)، وكأنها تجعل عدم اقتحام العقبة (أي الطريق الوعر) في الدنيا يقود إلى النار في الآخرة، فيجئ هنا مصير مَنْ لم يقتحم، ولا يعني ذلك أن العقبة المقصودة هي عقبة جهنم، وأنه لن يستطيع اقتحام عقبة النار في الآخرة، فالسياق يذكر أدوات الحس والإدراك التي تساعد الإنسان على الاقتحام في الحياة الدنيا ومجاوزة عقباتها، والآيات تشرح بعضها لأن العقبة متبوعة بما يفسرها وهو فك الرقاب والإطعام. والتعبير بلفظ "مُؤَصَّدَةٌ" يتضاد مع "فك"، ويربط بداية ونهاية القسم.

هذا من ناحية التناسب الموضوعي بين القسمين، أما من ناحية التناسب البلاغي فإن القسمين يحتويان على ألفاظ متماشية أو مترادفة تربطهما وتحقق تناسقهما:

1_ تأتي "لا" في بدايتي القسم الأول ﴿لَا أَقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ ﴿١﴾ ﴿فَلَا أَقْنَحَمَ

الْعَقَبَةَ﴾ ﴿١١﴾، والقسم الثاني، وتكرر "لا" يربط بين القسمين، ولكن أختلف في معنى الثانية، وذكر الرازي أن من أهل اللغة من جعلها بمعنى "لم" النافية أي لم يقتحم العقبة، وقيل أنها بمعنى الاستفهام "أي هلا أنفق ماله فيما فيه اقتحام العقبة؟" ⁽⁵⁷⁾، وقيل بأنها لا النافية للفعل الماضي، فيكون المعنى "فلا اقتحم العقبة و آمن"، وقيل: هي دعاء عليه بعدم الاقتحام ⁽⁵⁸⁾، وقيل: هي للحض أو للاستفهام ⁽⁵⁹⁾. وعند الطاهر "لا" الأولى قَسَمَ بحرف النفي ⁽⁶⁰⁾، والثانية استفهام إنكاري محذوف الأداة ⁽⁶¹⁾، وجعل إصلاححي الثانية بمعنى الأمر. والقراءة التناظرية تجعل "فلا" جامعة لعدد من المعاني كما يقول السامرائي ⁽⁶²⁾، فقد تكون بمعنى لم أو لا النافية للفعل الماضي، أو الحض على الاقتحام والعمل الصالح والتوبة، أو للاستفهام؛ لأن الاستفهام يتكرر في السورة "أيحسب"، وفي محورها "ألم نجعل"، وهذه المعاني متناسبة مع السياق في الجزء المقابل الذي يذكر إهلاك الإنسان للمال وتفاخره بذلك، ومتناسبة مع معنى الكبد والصبر وذكر الجزاء لمن لم يقتحم.

2_ ألفاظ "والد"، "ولد" في القسم الأول متماشية مع لفظ "يتيمًا ذا مقربة" في القسم الثاني، فالتيم هو من لا والد له، وكلمة "مقربة" يدخل فيها مفهوم القرابة، مثل: قرابة الوالد والولد.

3_ كلمات مثل: "مالاً" في القسم الأول تتماشى مع "فك رقبة" و "إطعامًا"، وفيها ما يستلزم بذل المال أو غيره.

وبالنظر فيما سبق تُظهر القراءة التناظرية أنه لا غنى عن التفسير بالمأثور وبالرأي في معرفة معاني الآيات، فالوالد والولد جاء ذكرهما في التفاسير على أنهما إبراهيم وإسماعيل أو آدم عليهم السلام وذريته وغير ذلك، والسياق يرجح المعنى الأول لأن الحديث عن مكة وأول من سكنها هم ذرية إبراهيم عليه السلام. وأيضًا هذه القراءة تعني بالتكرار في السورة، وتبين أن الغرض منه هو النظم، وتذكر الباحثة العلق أن التكرار في السورة جاء ليخدم اتساقها ودلالاتها وإيقاعها⁽⁶³⁾. كما أن القراءة التناظرية توسع المعاني وتولدها، وتربط جميع أجزاء السورة بمحورها، وتربط المحور بفتحة السورة وخاتمتها مما يرجح كون السورة كلها مكية كما قال الجمهور.

وقد شاع أن موضوعات القرآن المكي متعلقة بالتوحيد وأركانه، والبعث واليوم الآخر، والنبوة والوحي، ولكن نظرة أخرى إلى السور المكية الأولى تُظهر أن القرآن في مكة تناول موضوع البلد والأمن، والنعم والثروة، والأعمال الصالحة، بالتوازي مع الدعوة إلى نبذ الشرك، والأعمال السيئة، مثل: وأد البنات والتكبر، وعدم إطعام الطعام والخب. والغرض فيما يبدو من التذكير بالنعم وما يعيشه مجتمع مكة هو التحذير من الهلاك في حال الاستمرار في التكذيب والكفر ورفض دعوة الرسول ﷺ. سور مكية، مثل: الفيل وقريش، والفجر والبلد، والهمزة والماعون، والحاقة والعاديات وغيرها، تذكر بشكل أو بآخر طرقًا ووجوهًا لإحداث النفع في المجتمع وفعل الخير وإنفاق المال، بل وتحكي عن وجود أموال وخيرات كثيرة بين أيدي أهل مكة، وتحثهم على البذل والعطاء للمساكين والفقراء، وتحذرهم من حب المال بشدة وتفضيله على الحياة الآخرة. وكأن القرآن المكي لا يكتفي بتذكيرهم بالنعم، بل يخبرهم بواجبهم تجاهها وتجاه معطيها وإطلاعه عليهم، ويخاطبهم بما له علاقة بواقعهم وإصلاحه وتنميته، كما يحثهم على تنمية أنفسهم وتركيتها بالإيمان والتوحيد. ناهيك عن أن أهل مكة سَخَرُوا تلك الأموال للصد عن سبيل الله، وازدروا الضعفاء الذين آمنوا، وتعرضوا للرقيق وعذبوهم بسبب إيمانهم.

الحديث عن النَّعم في سورة البلد وخاصة نعمة الحواس فيه إشارات إلى أن القرآن المكي من بدايته يخاطب العقل، ويحثه على التأمل في الكون والنفس، وأن الدعوة الجديدة ورسالتها الكبرى تتعلق بالإيمان والعمل الصالح منذ البداية، والشواهد كثيرة في السور المكية. موضوع الإيمان بالله وباليوم الآخر موجود في ثنايا السورة وموضوعاتها، فالقسم الأول يذكر صفات الله (الإيمان بالله بتعبير آخر) في سياق يصف أفعال الإنسان الكافر، والقسم الثاني لا يذكر اليوم الآخر بلفظ مباشر؛ إلا أن ذكر أصحاب الميمنة والمشأمة يدل على موضوع الحساب والجزاء. أيضاً الإيمان بالله والدعوة إليه لم تأت صريحة، بل جاءت ضمناً في مخاطبة الرسول ﷺ والقسم بالبلد، وفي ذكر الذين آمنوا وتواصوا بالصبر والرحمة. ومخاطبة الرسول ﷺ بالتكريم والتعظيم في أول السورة فيه تأكيد على نبوته التي تنكرها قريش، وتأكيد النبوة موضوع مكي كما هو معروف.

خاتمة:

اختيرت في هذا البحث ثلاث مناهج موضوعية مختلفة لقراءة سورة البلد كوحدة ذات موضوع رئيس، وهذه المناهج هي: طريقة الطاهر ابن عاشور، ومنهجية إصلاحي، ونظرية التناظر. وأظهرت الدراسة أن ابن عاشور اعتبر السياق كأداة لفهم الآيات وألفاظها، كما أنه لا يوجد عند ابن عاشور تقسيم واضح للسورة ومقاطعها، ولكنه يذكر أغراض السورة وفق الترتيب الذي وردت فيه. وجعل الطاهر السورة مرتبطة بالمعاد والبعث بشكل مباشر. أما قراءة إصلاحي للسورة تجعلها مرتبطة بشكر الله على النعم الطويلة على أهل مكة منذ زمن آبائهم إبراهيم وإسماعيل عليهم السلام، واعتمد إصلاحي بشكل أساسي على تقسيم السورة إلى مقاطع ذات محاور، وقرأ السورة بالتوازي مع سورة الفجر، وجعلهما زوجاً لتناسب عمودهما وتشابه نظمهما وموضوعاتهما، فكان سورة البلد عنده متممة لما جاء في سورة الفجر. بينما القراءة التناظرية تركز على فكرة الإنعام على الإنسان الكافر، وبيان تصرفاته حيال النعم والآيات التي من عند الله، وأنه حتى تتغير أفعاله تجاه النعم لتكون صالحة، عليه

أن يؤمن ويعرف نعمة إرسال الرسول الكريم ﷺ الذي يدعوه إلى الإيمان والعمل الصالح. وهذا المحور يُظهر الرسالة الكبرى للقرآن في ثنائه وهي الإيمان والعمل الصالح، ويعطي رسالة غير محدودة بالزمان والمكان، وتُخاطب كل إنسان بالنظر في هذه النعم واستعمالها في سبيل الحق والخير لأنه سيُحاسب على أفعاله يوم القيامة. وهذه القراءة أظهرت أن العمود الذي ذكره إصلاحي أنسب لترتيب الآيات وسياق السورة ككل وعلاقته بالسورة التي قبلها، وقد اعتنى عدد من العلماء بعلاقة هاتين السورتين، ومنهم: ابن الزبير الغرناطي (ت. 708هـ) في كتابه "البرهان في تناسب سور القرآن"، وجلال السيوطي (ت. 911هـ) في كتابه تناسق الدرر في تناسب السور، واهتموا بعلاقة سورة البلد بما بعدها وهي سورة الشمس المكية، ولضيق مساحة هذه الدراسة يمكن القول بأن سورتي البلد والشمس ترتبطان موضوعيًا من خلال الهداية إلى النجدين في سورة البلد، وموضوع إلهام النفس فجورها وتقواها في سورة الشمس، وهذا مما يجدر ببحثه ودراسته لبيان وحدة القرآن الكريم وارتباط سورته.

وتطبيق مناهج أدبية مختلفة في قراءة السورة يقود إلى النتائج التالية:

1. سورة البلد نزلت كلها في مكة، ومع كون المفسرين قد اتفقوا على مكية السورة، إلا أصواتًا قليلة صرحت بمدينة فاتحتها بسبب الإذن بالقتال في مكة عام الفتح، فربط البعض معاني السورة بالمستقبل وعللوا ذلك بكونها بشارة وتسليية للنبي ﷺ في مكة، لكن السورة نزلت في عهد مكّي مبكر كما يظهر من نظمها وترتيب آياتها، ناهيك عن موضوعاتها المكية، وهذا لا يعني ربط فاتحة السورة بالحديث الصحيح ولا يوجب التعارض معه، والسور السابقة لسورة البلد في النزول لم يُشْرَن إلى فتح مكة في تلك المرحلة المكية، ولكن معنى التكرّم للبلد وللرسول صلى الله عليه وسلم قد ورد في سور مكية نزلت مبكرًا، مثل: الضحى، التين، قريش، الكوثر. والقراءة الموضوعية يمكنها أن ترد على تلك الأصوات عبر السياق نفسه.

2. سورة البلد وحدة منسجمة ومتماسكة، تخاطب الإنسان الكافر وتدعوه إلى شكر النعم العديدة — مثل الأمن والمال والنبوة والهداية إلى النجدين — عبر الإيمان والعمل الصالح.
3. تظهر وحدة سورة البلد موضوعًا ونظمًا مهما كانت الطريقة التي قُرئت بها، وكل طريقة قادرة على توليد المزيد من المعاني المتماشية مع السياق بشكل أو بآخر، والأهم من ذلك أن هذه المناهج ليست الطرق الوحيدة لقراءة السور القرآنية، ولكنها مُعينة على التدبر، وتقسيم السورة إلى مقاطع وأجزاء متناظرة ومترابطة موضوعيًا وبلاغيًا كوحدة واحدة، ومتناسبة مع ما حولها من السور في المصحف.
4. تُعين هذه المناهج على فهم الآيات في سياقها نفسه أي السورة نفسها، وفهم السياق التاريخي للسورة وعهد النزول وموضوعاته، وتُبرز بلاغة ورسالة القرآن في كل مرحلة عبر انسجامه الموضوعي، وتساعد على الترجيح بين المعاني والأقوال المتعددة، واستبعاد ما لا يدعمه السياق ولا السور الأخرى المتقاربة في زمن النزول.
5. تطبيق هذه المناهج وغيرها لا يُغني عن فهم المفسرين السابقين، ولكنه يُظهر جمال النص القرآني ويعطي للمعاني أبعادًا أوسع، ترتبط بواقع الإنسان في أي عصر.

الهوامش:

- (1) من أمثلة كتب التفسير الموضوعي للسور في الزمن المعاصر: الأساس في التفسير لسعيد حوى (القاهرة: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، 1405 – 1985)، التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم لعبد الحميد طهماز (سوريا- دمشق: دار القلم، ط2، 1435 – 2014).
- (2) محمد بن رزق بن طرهوني، التفسير والمفسرون في غرب أفريقيا (الرياض: دار الجوزي، 1426هـ)، 737.
- (3) افتخار أحمد، الشيخ أمين أحسن إصلاحي ومنهجه في تفسيره "تدبر القرآن"، الجامعة الإسلامية، باكستان: بهالفور، 1996، ص. 12، (رسالة دكتوراه).
- (4) Michel Cuypers, *The Composition of the Quran* (trans. Jerry Ryan, New York: Bloomsbury Academic, 2015).
- (5) Alsulaimi, Nadeen Mustafa A. "Islamic and Western Approaches to the Qur'ān: A Rhetorical and Thematic Analysis of Sūrah 4 "The Women" (al-Nisā')." The Catholic University of America, Washington, D.C., 2018, 63-102. (Ph.D. diss.).
- (6) افتخار أحمد، الشيخ أمين أحسن إصلاحي ومنهجه في تفسيره "تدبر القرآن"، 71.

(7) تجدر الإشارة إلى أن عدداً من علماء الهند قد كتبوا عن إنتاج إصلاحي وتفسيره تدبر القرآن، وعابوا عليه عدم اعتنائه بالحديث في التفسير، وذكر بعضهم أن إصلاحي لم ينفِ علم الحديث كاملاً ولكنه خالف منهج الجمهور. (انظر: افتخار أحمد، الشيخ أمين أحسن إصلاحي ومنهجه في تفسيره "تدبر القرآن"، 13-18).

(8) محمد الطاهر ابن عاشور، التحرير والتنوير (تونس: دار سحنون للنشر والتوزيع، د.ت)، 1/1: 86.

(9) المصدر السابق، 1/1: 104-106.

(10) *(Amīn Aḥsan Iṣlāḥī, Pondering over the Qur'ān (Taddabur-e-Qur'ān): Tafṣīr of Sūrah al-Fātiḥah and Sūrah al-Baqarah (trans. Mohammad Saleem Kayani, Kuala Lumpur: Islamic Book Trust, 2006), 25-49.*

(11) *(Ibid., 35-41.*

(12) *(Ibid., 45-47.*

(13) ابن عاشور، التحرير والتنوير، 1/1: 46-50.

(14) ابن عاشور، التحرير والتنوير، 12/30: 345.

(15) المصدر السابق، 12/30: 346.

(16) المصدر السابق، 12/30: 350.

(17) المصدر السابق، 12/30: 348-347.

(18) المصدر السابق، 12/30: 349.

(19) المصدر السابق، 12/30: 352-350.

(20) المصدر السابق، 12/30: 352.

(21) المصدر السابق، 12/30: 356-353.

(22) الاستعارة في اللغة: "رفع الشيء وتحويله من مكان إلى آخر، يقال استعار فلان سهماً من كنانته: رفعه وحوله منها إلى يده"، والاستعارة "لا تتم إلا بين متعارفين تجمع بينهما صلة ما"، وهي من أنواع المجاز، وتعتمد على "المشابهة". (انظر: عبد العزيز عتيق، علم البيان (لبنان-بيروت: دار النهضة العربية، 1405-1985).

(23) المصدر السابق، 12/30: 357.

(24) المصدر السابق، 12/30: 359.

(25) المصدر السابق، 12/30: 360.

(26) الطباق أو المطابقة أي الجمع بين المتضادين في الكلام. (انظر: بدر الدين بن مالك الشهير بابن الناظم، المصباح في المعاني والبيان والبدیع (تحقيق: د. حسنى عبد الجليل يوسف، مصر-الجماميز: مكتبة الآداب ومطبعتها، د.ت)، 191).

(27) المصدر السابق، 12/30: 363-362.

(28) *(Amīn Aḥsan Iṣlāḥī, Taddabur-e-Qur'ān, Sūrah al-Balad (PDF), 272.*

(29) *(Ibid., 271.*

(30) *(Ibid., 273.*

(31) *(Ibid., 276.*

(32) *(Ibid., 276-277.*

(33) *(Ibid., 277-279.*

(34) *(Ibid., 279.*

(35) ابن عاشور، التحرير والتنوير، 12/30: 350.

(36) الزمخشري، الكشاف (بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1424-2003)، 2/4: 1355.

(37) صحيح البخاري، كتاب الديات، باب مَنْ قَتَلَ لَهُ قَتِيلٌ فَهُوَ بِخَيْرِ النَّظَرَيْنِ، حديث رقم 6400، ط 1، ج 9.

(38) ابن عاشور، التحرير والتنوير، 12/30: 347.

(39) (Michel Cuypers, The Composition of the Qur'ān, 8-9.

(40) (Michel Cuypers, The Banquet: A Reading of the Fifth Sura of the Qur'an (Miami: Convivium, 2009), 31-32, 502.

(41) السامرائي، لمسات بيانية (عمّان: دار عمار للنشر والتوزيع، 2003-1423)، 255.

(42) يسري السيد محمد، بدائع التفسير (الدمام: دار ابن الجوزي، 1993-1414)، 220-218.

(43) أبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط (بيروت: دار الكتب العلمية، 2007)، 8: 470-469.

(44) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (بيروت: دار الكتب العلمية، 1993-1413)، 20/10: 40.

(45) أبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، 8: 470-469.

(46) الرازي، التفسير الكبير (بيروت: منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، 1425-2004)، 16/

31: 164-163.

(47) المصدر السابق، 16/ 31: 165-164.

(48) أبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، 8: 470.

(49) المصدر السابق، 8: 470.

(50) الرازي، التفسير الكبير، 16/ 31: 166.

(51) الزمخشري، الكشاف، 2/ 4: 1356.

(52) المصدر السابق، 2/ 4: 1357.

(53) الرازي، التفسير الكبير، 16/ 31: 166.

(54) السامرائي، لمسات بيانية، 271.

(55) ابن عاشور، التحرير والتنوير، 12/ 30: 360.

(56) الرازي، التفسير الكبير، 16/ 31: 167.

(57) المصدر السابق، 16/ 31: 167.

(58) أبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، 8: 471.

(59) السامرائي، لمسات بيانية، 268.

(60) ابن عاشور، التحرير والتنوير، 12/ 29: 338.

(61) المصدر السابق، 12/ 30: 355.

(62) السامرائي، لمسات بيانية، 268.

(63) جريدة العلاق، "الاتساق المعجمي في سورة البلد" (Kufa Studies Center Journal; 2019, Iss.)

(52)، 171-172.

المصادر والمراجع:

• القرآن الكريم.

الكتب:

1. ابن الزبير الثقفي الغرناطي، أحمد بن إبراهيم، البرهان في تناسب سور القرآن. تحقيق: محمد شعباني، المغرب: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 1410-1990.
2. ابن عاشور، محمد الطاهر. التحرير والتنوير، مج1/ج1، مج12/ج29، مج12/ج30، تونس، دار سحنون للنشر والتوزيع، [د.ت].
3. ابن الناطم، بدر الدين بن مالك، المصباح في المعاني والبيان والبدیع، تحقيق: د. حسنى عبد الجليل يوسف، مصر-الجماميز، مكتبة الآداب ومطبعتها، [د.ت].
4. أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف، تفسير البحر المحیط، تحقيق وتعليق: عادل عبد الموجود وعلي معوض، بمشاركة: زكريا النوتي وأحمد الجمل، مج.8، ط.2، بيروت، دار الكتب العلمية، 2007.
5. البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسنته وأيامه، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، مع شرح وتعليق: د. مصطفى ديب البغا، ج.9، (د.م)، دار طوق النجاة، 1422.

<http://shamela.ws/browse.php/book-1681#page-2>

6. البقاعي، برهان الدين إبراهيم بن عمر، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور. تحقيق: عبد الرزاق غالب المهدي، ط.3، بيروت، دار الكتب العلمية، 1427-2006.
7. حوى، سعيد. الأساس في التفسير، القاهرة، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، 1405 - 1985.
8. الرازي، فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين، التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، تخریج: عبد الرزاق غالب المهدي، مج16/ج31، ط.2، بيروت: منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، 1425 - 2004.
9. الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر، الكشاف، عن حقائق التنزيل وعبون الأقاويل في وجوه التأويل، مج.2/ج4، بيروت، دار إحياء التراث العربي، 1424-2003.
10. السامرائي، فاضل صالح، لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، عمان، دار عمار للنشر والتوزيع، 1423-2003.

<http://shamela.ws/browse.php/book-9097#page-1>

11. السيد محمد، يسري، بدائع التفسير الجامع لتفسير الإمام ابن قيم الجوزية، مج.5، الدمام، دار ابن الجوزي، 1414-1993.
12. السيوطي، جلال الدين، تناسق الدرر في تناسب السور، تحقيق: عبد الله محمد الدرويش، ط.2، بيروت، عالم الكتب، 1408-1987.
13. طهماز، عبد الحميد محمود، التفسير الموضوعي لسور القرآن العظيم، ط.2، دمشق: دار القلم، 1435 - 2014.
14. عتيق، عبد العزيز، علم البيان، بيروت، دار النهضة العربية، 1405-1985.
15. القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، مج.10/ج20، بيروت، دار الكتب العلمية، 1413-1993.

الرسائل الجامعية:

1. أحمد، افتخار، الشيخ أمين أحسن إصلاحي ومنهجه في تفسيره "تدبر القرآن"، إشراف: عبد الرؤوف ظفر، الجامعة الإسلامية، بهافور، 1996، (رسالة دكتوراه).
المقالات العلمية:
2. العلاق، أ.م.د. جليلة صالح، "الاتساق المعجمي في سورة البلد"،
Kufa Studies Center Journal; 2019 Iss. 52, pp.159-183.

3. الملا، عبير جبار كاظم، "ظواهر تحليلية في سورة البلد"، مجلة الجامعة الإسلامية، كانون الأول 2015، مج. 10، ع. 35، ص 599-642.

المراجع الانجليزية:

- 1- Alsulaimi, Nadeen Mustafa A. "Islamic and Western Approaches to the *Qur'ān*: A Rhetorical and Thematic Analysis of *Sūrah 4 "The Women" (al-Nisā')*." Ph.D. diss., The Catholic University of America, Washington, D.C., 2018. ProQuest.
- 2- Cuypers, Michel. *The Banquet: A Reading of the Fifth Sura of the Qur'an*. Miami: Convivium, 2009.
- 3- _____, *The Composition of the Quran*. Translated by Jerry Ryan, New York: Bloomsbury Academic, 2015.
- 4- Işlāhī, Amīn Aḥsan. *Taddabur-e-Qur'ān*. <http://docvault.tadabbur-i-quran.org/tadabbur-text/volume-9/90/90%20Surah%20Balad.pdf>. *Sūrah al-Balad* (90), PDF.
- 5- _____, *Pondering over the Qur'ān (Taddabur-e-Qur'ān): Tafṣīr of Sūrah al-Fātiḥah and Sūrah al-Baqarah*. Translated by Mohammad Saleem Kayani, Kuala Lumpur: Islamic Book Trust, vol.1, 2006.